Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10342

البواعث النفسيه الخارجية منافذ للتعبير النفسي في قصائد الشعراء الطائيين

خومار سلام بهرام، مسعود سليم

كليه التربيه، جامعه كويه، قسم اللغه العربيه وآدابها، اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: June, 2023

Revised: June, 2023

Accepted: July, 2023

Keywords

الطلل، المرأة، العاذلة، الاضطراب النفسي

Corresponding Author

Nazxan2017@jmail.com

masudsalim@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث البواعث النفسيه الخارجية في شعر قبيلة طيء بوصفها منفذاً للتعبير النفسي, وقد وجد الشعراء الطائيين في البواعث الخارجية حافزاً للتعبير عن مكنوناتهم الداخلية, وطريقاً ممهداً للبوح بما يعتلج قلوبهم من الحزن, والالم, والشوق, والقلق, والسعادة, فحققوا عن طريقها أحلاماً عجزوا عن تحقيقها في واقعهم البشع, إذ بوساطة المنهج النفسي نستطيع تفكيك الرموز التي خلقها الشاعر الطائي لاخفاء مشاعره الحقيقة, فـ(الطلل والمرأة والعاذلة) ما هي الا وسائل يخفف بها الشاعر عن المعاناة النفسية, أو يحاول عن طريقها تطهير نفسه من الاحاسيس غير مرغوبها, ومن الأسباب النفسية وراء كثرة توظيف الشاعر لطلل إنه يشكل تجربة شعورية صادقة, ويمثل الاحساس المباشر بالفقيد, وأما المرأة فتعكس الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر الطائي, فهم يتمسكون بالمرأة لتخلصهم من مرارة الشوق وقسوة الفراق, وإشباع الرغبات الجنسية المكتومة, وأما توظيف العاذلة المصاحبة برغبات صادقة, فيطمع الشاعر عن طريقها اكتساب العظمة, ويعوض بها عن شعوره بالنقص, فأراد الشاعر الطائي عن طريق البواعث الخارجية إعادة تشكيل عواطفه وكأنها غير مألوفة, فيحقق ما عجز عن تحقيقه في عالمه البائس.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد (ص), وعلى آله أجمعين.

تتميز تأريخ قبيلة طيء عن سائر القبائل العرب بأنها فريده من نوعها؛ لانها من قبائل التي اشتهرت بكثرة شعرائها وأشعارها, وإن أشعارهم صورة عن نفسيتهم وذلك لان الأدب صدى لعواطف الشاعر وانفعالاته, ويعكس الحالة النفسية التي يمر بها, والبواعث التي تؤثر فيه, لذلك نجد البواعث الخارجية لها سطوتها على شعور الشعراء الطائيين, فهي تعبير صادق عن معاناتهم, فتبقى البواعث الخارجية طاقة متجددة لذات الشاعر على البث بعواطفه لكي يستلهم منها.

وقع اختيارنا على شعر قبيلة بني الطيء؛ لانها يمثل مادة خصبة للدراسة, وتشكل الانموذج الأكمل لتطبيق الجانب النفسي على أشعارهم, وعلى الرغم هذه المميزات التي تنفرد بها أشعارهم إلا أن الدراسة حول هذه القبيلة نادرة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في انها تتيح مجالاً رحباً لتعمق في أشعار شعراء الطيء, واكتشاف الرغبات المكبوتة المخزونة في لاشعورهم, وارتباطها بالبواعث الخارجية التي قد تأثر على نفسيتم, مما كان حافزاً لانشاد الشعر لديهم, وقد واجهنا مجموعة من المعوقات في هذه الدراسة منها, النفس البشرية العالم الغامض والفياض يصعب الاهتداء إلى أعماقها, وليس من العسير الإلمام بالبواعث التي تحرك الشعراء, وكذلك النقص في المصادر والمراجع, وصعوبة الحصول على بعض المصادر القيمة.

وحرصاً على الالتزام بالمنهجية العلمية قد وقع اختيارنا على المنهج النفسي, وذلك لكون النص الشعري تعبير صادق عن صاحبه ومعبر عن احساسه, إذ بوساطة المنهج النفسي نستطيع الوصول إلى أغوار نفوس الشعراء, والإلمام بمكبوتاتهم النفسية, وقد بنيت هذه الدراسه على ثلاث مباحث, ففي المبحث الاول وقفنا على الطلل, وفي المبحث الثاني وقفنا على المرأة, وفي المبحث الثالث وقفنا على العاذلة, ثم عرضنا أشهر النتائج التي توصلنا إليها, وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع القيمة منها, (قبيلة طيء في الجاهلية والاسلام لوفاء السنديوني, وديوان حاتم الطائي لمدرك الطائي, والتفسير النفسي للادب عزدين اسماعيل), والحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول :- الطلل

تميزت القصيدة العربية بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها, ولعل اللحظة الطللية واحدة من الشذرات المضيئة التي يمكن أن نصل عبرها الى مكبوتات المجتمع الجاهلي,

وهي وسيلة من وسائل إغناء فهمنا لمجتمع معين, والشاعر الجاهلي يبدع عبر طلله وماضيه شعراً, ويتحفز لمعانقة مستقبله عبر بضعة أبيات (عبدالرحمن,1985: 246).

وقد حظيت المقدمة الطللية بمكانة مرموقة عند النقاد العرب القدامى, ولعل ابن قتيبة(م276هـ) من أوائل النقاد الذين التفتوا الى الجانب النفسي في تعليله للطلل, وذلك في قوله: **((سمعتُ بعضَ أهل الأدب يذكرُ أن مُقَصّدَ القصيدِ إنَّما ابتدأ فيها بِذكرِ الديارِ والدِّمنِ والآثارِ, فبكى وشكا, وخاطبَ الرَّبعَ, واستوقَفَ الرفيقَ, ليجعل ذلك سبباً لذكرأهلها الظاعنينَ عنها))** (ابن قتيبة,1958: 74), إذ أثر رحيل الاهل والاحبة في ذهن الشاعر, فأصبح يبدع عن طريق وصف أطلالهم ويفرغ من همومه الداخلية, ولذلك يعد الطلل تعبيراً صادقا عن مكنوناته الذاتية, إذ إنَّ المقدمة الطللية هي المقدمة التي وجدت هوى شديداً في نفوس الشعراء الجاهليين, لارتباطها ببيئتهم المادية, وطبيعة حياتهم الاجتماعية, وهي تعبير عن تلك الظاهرة الطبيعية في المجتمع البدوي, وهي ظاهرة الحركة التي كانت نتيجة التفاعل الحتمي بين الحياة والبيئة (خليف,123:1981), فوقف الشعراء على الاطلال ووصفوا بقاياها, ثم وصفوا أحوالهم النفسية حين الوقوف فيها, وبكوا واستشعروا الحزن والكآبة, ولذلك يكشف الطلل صلة الانسان بالطبيعة بوصفها قهراً يمارس سلطته على نفس الشاعر, وبحسب رأي الدكتور يوسف اليوسف فإن العنصر الطللي هو **((توليف للحظات ثلاث وهي التهدم الحضاري والقمع الجنسي وقحل الطبيعة, وإن الطبيعة هي قطب التضاد مع الانسانية, مما يجعلها شكلا من أشكال التعبيرعن صراع الانسان ضد الطبيعة, وانها محاولة يائسة لنفي الطبيعة أو لمقاومة الدهر والزمن))** (اليوسف,1983: 138).

وترى الدكتورة عزة حسن إن وقوف على الأطلال له معان عدة منها: الابتداء بالوقوف على الديار ووصف بقاياها, وسؤال الديارو تكلمها, ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها, وتعفية الدهور والأزمان والرياح و الامطار, والدعاء بالسقيا لها, والبكاء فيها, وتخريب الديار, وبيان الحالة النفسية للشاعر حين الوقوف على الديار (حسن,1968: 21), إذ نرى الشعراء يذرفون العبرات ويسكبون الدموع بغزارة وحرارة وأسى على أيام ودعوها قبل النهاية المحتومة, وتتحول الى ذكريات دفينة في أعماقهم وحبيسة في أطواء نفوسهم, فينسونها حينا ولكنها تعود للظهور بقوة كلما مروا بديار محبوباتهم ووقفوا على أطلالهن (عطوان, 1970: 170).

ولذلك يمثل الطلل صورة جماعية, والشاعر الجاهلي انطلق في لوحة الطلل ليعبر عن مجتمعه, وأراد أن يقول عن طريق رسمه للوحة الطلل, إنه كان في يوم ما عالقاً بهذا الكون الأرضي الذي تربطه به رابطة الانتماء, وأصبح ضيقاً ضيقة النفس لارتباطه بالقفر والفراغ بعدما كان مرتبطاً بالدفء, وما يوحي باطنياً بصورة التهدم النفسي الذي أشعره بغربة النفس, لا غربة المكان, وقد دفعته هذه النفسية الى أن يقف في ساحة التهدم ويتأمل ويبكي عليها (فيدوح, 1989: 268).

وليس الطلل إلا حسرة الشاعر التي تعجز عن الوقوف بوجه الزمن, وتعكس عما في داخله من شوق الى الماضي والذكريات السعيدة, وفي ميسورنا الوصول الى ذات الشاعر عبر تحليل المقاطع الطللية بوصفها رمزاً تتقبل التفسير (ينظر: حسن,1968: 62), فشعراء طيىء ذكروا الديار ووصفوها وصفاً حقيقياً, وعبروا عن مكنوناتهم الداخلية وإحساساتهم العميقة بوساطة أبيات الطلل وذكر البقايا الديار المهدومة, إذ تعد البيئة من أهم البواعث الخارجية التي تستجيب لها نفس الشاعر وتؤثر فيه, وتبيَّن الصراع الداخلي وتُعبَّر عن المكنونات الداخلية, ولذلك نستطيع ان نلمح ما يُخلّفه الطلل من أثر على النفس حتى صار باعثاً من بواعث الحزن والأسى عند الشاعر, فحرَّكت وجدانه للتعبير عن مكنوناته الذاتية, ووقوف الشاعر على ديار الأحبة بحثاً عن مواضع الذكريات وتأمل ما بقى منها, والابتداء بالاستفهام شكل دلالات نفسية استعملها الشاعر ليعبر عن انفعالاته, من ذلك ما نجده في قول الشاعر حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي (مدرك الطائي, 1990: 220) :

أَتَعْرِفُ أَطْلالا ونُؤْياً مُهَدَّما كَخَطّكَ في رَقّ كِتاباً مُنَمْنَما
أَذَاعَتْ به الأَرْواحُ بَعْدَ أَنِيسِهَا شُهوراً وأيّاماً وَ حَوْلاً مُجَرَّما
دَوَارِجَ قَد غَيَّرْنَ ظَاهِرَ تُرْبِةِ وغَيَّرتِ الأيّامُ ما كان مَعْلمَا
وغيَّرَها طُولُ التَّقادُمِ والبلَى فما أعْرِفُ الأطلالَ الا تَوَهُّما

يصف الشاعر الحالة النفسية التي يعتريه حين وقوفه على الاطلال, فحين رآها خالية لم يبق منها الا الدمن, فهذه الدمن أثار في نفسه شعوراً انفعالياً حاداً مما أصابه بـ(عقدة الاكتئاب)(1), ولمواساة نفسه حاول إعطاء قيمة ثقافية لهذه الاطلال, عبر تشبيه هذه الأطلال بالخط في الرق, وحين بدأ الشاعر بالاستفهام نرى كأنه يعيش في حالة من القلق والسؤال والشك, فالديار المهجورة والرسوم الباقية وآثار الأحبة يولد حزناً يُعذِّب نفسه, فيدعو لها بالبقاء رغم انها محاولة يائسة, ولكنَّه يواسي نفسه بهذا الطلب لكي يجد العزاء للأيام الضائعة.

أما ظاهرة التشخيص فهي سمة بارزة في أشعار طيىء وذلك حين وقف الشاعر على هذه الديار, وطلب منها أن تكلمه وتحدثه عن أخبارهم, وقد جعل هذه الديار مثل أشخاص تسمع ما يقولون, ولكن كان جواب الديارعلى سؤاله الصمت المطبق والسكوت العميق؛ وذلك لخلوها من الناس (حسن, 1968: 23), إذ إنَّ سؤال الشاعر يعكس تأملاته بغية استرجاع الماضي, وهذا الطلل يشكل تعويذة ضد شعور الشاعر بالنقص, ويمكن أن نلمح ذلك في أبيات الشاعر بشر بن عليق, إذ يقول (السنديوني, 1983: 356) :

خَليلَيَّ عُوجَا فانْظُرَاني لَعَلّني أُسَائِلُ رَسْماً قَدْ عَفَا وَتَهَدَّمَا
بأوعَسَ مِن ذاتِ الحِجى ما عرفتُهُ بُعَيْدَ حَصَاةِ النَّفْسِ إلا تَوَهُّمَا
أَذَاعَتْ بِهِ الأَرْوَاحُ حَتَّى كَأَنَّمَا حَسِبتُ بَقَايَاهُ كِتاباً مُنَمْنَمَا
فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُ غَيْرَ سُفْعٍ مَوائِلٍ وأورَقَ من طُولِ التَّقادُم أقْتَمَا

وَقِفْتُ بها صَدْرَ النَّهارِ مَطِيَّتي أُسَائِلُهَا فاسْتَعْجَمَتْ أن تَكَلَّمَا
أُسَائِلُهَا واسْتَعْجَمَتْ أن تُجِيبَني وما ذِكْرُ ما أَعْيَا علَيْكَ وأَعْجَمَا

إنَّ عجز الشاعر في وقوفه بوجه الدهر والطبيعة كي لا يمحو هذه الديار ولا يفرق بين الأحباب قد سبب له (الشعور بالنقص)(2), ونلمح أن الشعور بالتشاؤم واليأس والحسرة يدب في نفسه, وهذا الحنين الذي يشعر به لديار الأحبة جعله شعورياً ينادي الديار على أمل استعادة الذكرياته من قبضة الزمن, ومحاولة إرجاع عالمه الضائع, ولكن الديار ظلَّت في صمتها وكأنها تتمرَّد ولا تجيب النداء, إذ حاول الشاعر ان يجمع بين خيطين خيط الحياة وخيط الموت, فالذكريات مثلَّت الحياة, أما الاطلال والديار البالية والفراق فقد مثلَّت الموت.

أما تحول الطلل فيعدُّ حالة محفّزة على البكاء, فقد كانت هذه الديار مليئة بالحياة والحركة في الماضي, وأصبح قفرا ومهجورا يخلق الذعر والألم في داخل الشاعر, وكأنه تحوُّل من الحياة الى الموت, مما دفع الشاعر الى أن يطلب من أصدقائه الوقوف معه ومشاركته في البكاء, كما نلمح في قول الشاعر الطرمّاح (حسن, 1994: 79) :

قِفَا فاسْأَلَا الدّمنَةَ الماصِحه وَهَلْ هِي إنْ سُئِلَتْ بائِحَهْ
نَعَمْ كَقَرِيحِ وُشُومِ الصَّنَاع تَلُوحُ مَعَالِمُها اللّائِحَه
مَحَاهُنَّ صَيّبُ نَوْءِ الرَّبِيع مِنَ الأَنْجُمِ العُزْلِ والرَّامِحَه
وتجريمُ أَمْسِ ومَا قَبْلَهُ ومُخْتَلَفُ اليَوْمِ والبارِحه

يمثل الطلل الاحساس (بالحرمان الجماعي)(3), إذ إنَّ البكاء على فناء الطلل يعد شعوراً مشتركاً يشاركه الشاعر مع أفرد قبيلته, وهذه البقايا من الطلل ترمز الى الاهل والأحباب والحياة التي انقضت وحل محلها الفناء, ولهذا يرى عبد القادر فيدوح : **((أن اللحظة الطللية في وظيفتها النفسية الجماعية, هي برهة تتوافق فيها قوة الاحساس بأساليب السلوك التقليدية وتقوية الرقابة القاسية للأنا في توحُّدها مع الطاقة الشعورية للذات الجماعية, مما يعكس الواقع الاجتماعي))** (فيدوح, 1989: 264).

وكذلك نحس بالصراع النفسي الذي يعاني منه الشاعر من تحول الديار وتغيرها, مما يدفع الشاعر الى البكاء, إذ يكشف الطلل التدمير والشوق معاً, ويمثل تجسيد الغياب والتحول, وسؤال الشاعر (لمن الديار) يعبر عن تفاجؤ ذات الشاعر ودهشتها بهذا التحول, ولذلك يطلب تفسيراً أو جواباً يخفف من حزنه (حسن, 1968: 35), وهذا التحول يعكس الصراع النفسي من المصير المجهول مما جلب الحنين الى الماضي, وقد عبر الشاعر عن تلك الهموم بذكر الديار وأهلها, إذ إن الطلل يمثل باعثاً من بواعث الخوف والقلق, كما نجده في قول الطرمّاح (حسن, 1994: 52) :

لِمَنْ دِيَارٌ بِهذا الجَزْعِ مِنْ رَبَبِ بَيْنَ الأَحِزَّةِ مِنْ هَوْبَانَ فَالكُثُبِ
تِلْكَ الدِّيَارُ الّتِي أَبْكَتْكَ دِمْنَتُها فالدَّمْعُ مِنْكَ كَهَزْمِ الشَّنَّةِ السَّرِبِ
أَطْلَالُ لَيْلَى, مَحَتْها كُلُّ رائِحَةٍ وَطْفَاءَ, تَسْتَنُّ رُكْنَي عَارِضٍ لَجِبِ

إنَّ الحالة النفسية التي تعتري الشاعر هي الانهيار والدهشة والحزن مما أصابه بـ(عقدةالاكتئاب), إذ يرى الشاعر البقايا المهجورة مهددة بالفناء, وهذا التحول وهذا الخراب الذي أحدثه الدهر, والشاعر لا يستطيع منع هذا التبدد, كل هذا جعله يعيش شعوراً بالألم والاسى في قرارة نفسه, وللتفريغ عن هذا الشعور يلجأ إلى البكاء.

وقد تكررت ظاهرة البكاء عند الشاعر حاتم الطائي, إذ يمثل البكاء التعبير الأعمق عن النفس, لان سطوة الطلل لا يمكن لأي الشاعر الفكاك منها, فهي باعث من بواعث الحزن والألم, كما يقول الشاعر(مدرك الطائئ, 1990: 236) :

بَكَيْتَ, وما يُبْكِيكَ مِن دِمَنٍ قَفْرِ بِسُقْفٍ الى وادِي عَمودَانِ فالغَمْرِ
بِمنْعُرجِ الغُلّانِ جَنْبَى سَتِيرَةٍ الى دارِ ذاتِ الهَضْبِ فَالبُرَقِ الحُمْرِ

نرى الطلل قد أصاب الشاعر بالحزن الذي انتج لديه (عقدة النقص), فعبر عن هذا الحزن بلفظ البكاء, ولعل هذا الألم الذي يشعر به الشاعر ينبعث من ادراكه بفناء الماضي ورحيل اللحظات السعيدة التي قد لا تعود مرة أخرى, وهذا العجز سبَّب له الشعور بالنقص, فاتخذ البكاء تفريغا عن الألم الداخلي, ولهذا يقول الدكتور عناد غزوان: **((أنَّ الثورة العاطفية والوجدانية التي يكشف عنها الشاعر في وقوفه على الطلل, هي مصدر الراحة النفسية التي تلوذ بها نفس الشاعر في حالات كثيرة من السأم والوحدة والعزلة واضطراب العواطف))** (حسون, 2008: 75).

على الرغم تراجيديا الطلل قد يكون باعث من بواعث السعادة والجمال عند بعض الشعراء, وإنبعاث ذكرى للأيام الماضية السعيدة, ويمثل بؤرة يكشف عن الصراع النفسي الناجم بين الجمال والهدم, وقد حاول الشعراء (اسقاط) الجمال على الخراب, كما في قول العريان بن سهلة النبهاني (السنديوني, 1983: 435) :

لِمن الديارُ غَشيتها برماحِ فعمامتينِ فجانبِ السِّرداحِ
فجنوبِ فيحانٍ كأنَّ رسومَها حُلَلٌ يمانِيَةٌ على ألواحِ

إننا نلمح بوضوح محاولة الشاعر في (اسقاط)(4) صفة الجمال على هذا الخراب وهذه البقايا من الديار, وحاول وصف الديار بالطريقة التي يراها من منبع الرؤية الفنية فهي عملية شعورية, إذ أنتجت مخيلة الشاعر صوراً جميلة عن هذه الأماكن, ليلتمس منها وسيلة للترويح عن النفس, فرغم هذا الخراب يجد الشاعر هذه الديار فاتنة المنظر, وذلك لشدة الحب وولعه بها, فهي تمثل الذكريات الجميلة للسنوات الماضية, ففي هذه الأماكن أيام سعيدة لا تفارقه؛ لانَّها ممزوجة بلحظات سعيدة محفورة في الشعور, إذ يمثل الطلل استرجاع الماضي المليء بالسعادة, كما أنه يمثل امتزاج المتعة بالألم في لحظة انفعالية آنية تمرُّ على الشعراء, وتحمل صدق أحاسيسهم, وتحمل صدى نفسيتهم وانفعالاتهم الجياشة ازاء هذه الذكريات (ينظر: الخفاجي, 2002: 80).

وهكذا نرى أن ما عبر عنه الشاعر حين وقف على الطلل, ووصف الرحيل مثَّل لديه شعوراً بالنقص لعدم قدرته على إيقاف الزمن, أو جعله يشعر بالفراغ النفسي في محاولته بائسة لاسترجاع الماضي المفقود, أو هو محاولة مؤلمة من الشاعر للتفريغ أو التعويض عن الفراغ الروحي, والشعور بالحرمان الفردي أو الجماعي, أو هو أداة لتفريغ المكبوت المخزون في اللاشعوره مما حفَّز الشاعر على البكاء والحزن والتأسّي.

المبحث الثاني :- المرأة

احتلت المرأة منزلة رفيعة في أشعار الشعراء, فهي الطاقة التي تمدّ الحياة, والوسيلة التي عبروا عن طريقها عن مشاعرهم, وحظيت منذ القدم بحضور دائم في إبداع الشعراء, وقد تعزز هذا الحضور حين ارتبطت ببواكير القصيدة الجاهلية, وقد رسموا لها صوراً عدة بوصفها امَّاً, واختاً, وحبيبة, وزوجة, وتأرجحت بين الإشادة بذكرها وبين إبراز صورة قائمة لها (الجبوري,2014: 99), وقد صوَّر الشعراء أشواقهم واحساساتهم نحو المرأة, وما يلقون منها من وِصال أو هجر أو وعد, وصوروا فيه سعادتهم و شقاءهم وآمالهم و آلامهم (ينظر: الجبوري,2014: 100), ووجد الشعراء في المرأة الجمال, فتغنوا بمحاسنها حتى أصبحت هي اللحن الجميل الذي تُستهلُّ به القصائد, والكلمة السحرية التي تنفتح لها كنوز الشعر (الشابي,2013: 46), فإنَّ تأثير المرأة ظاهرا في حياة الشعراء, إذ نسمع في كل مناسبة اعترافا شعرياً من الرجل بفضلها وتغنيّا بمنزلتها السامية, بيد أنَّ وقفة الشاعر عند الحبيبة أكثر من وقفته عند سواها من النساء, فتوجه اليها بغزله وتعرض لوصفها (الهاشمي, 1960: 88), وقد تغزل بها ليفصح عن عاطفة الحب تجاه المرأة التي اختارها قلبه, وليعبرعن اعجابه بجمال هذه المرأة كما يراها هو لا كما يراها غيره, وهو في الحالتين يصور مشاعره ويكشف عما يختلع في قلبه, ولذلك اتسم غزله بالرقة؛ لانه تصوير لعاطفة الحب, وهذه العاطفة ناشئة من عدة انفعالات وهي الحب والاحترام والعطف (الحوفي, 1950: 11-13), ولذلك نرى إنَّ غزل الشاعر بالمرأة يتسم بالصدق الشعوري؛ لانه تصوير لنفسية قائله, ولهذا يقول الدكتور شكري فيصل: **((إن هذه الوفرة من الغزل تلفتنا الى ذاتية الشعر وفرديته, وخاصة في وصف المرأة, إذ تكاد تغلب الفردية على سواها, وقد عبَّر الشاعرعن وجوده النفسي وعواطفه الخاصة, وكان قيثارة إحساساته ونفسه))** (فيصل,1959: 27), أي أنْ الشاعر اعتمد على الترجمة الذاتية, الذي يلزم وجود تجربة الحقيقية في حياته الماضية ليوظفها في ابداعه الشعري معتمداً على تذكر تلك التجارب, وهذا التوظيف يعني تغلغلا متواصلا لكل عناصر حياته الماضية (عبدالدايم,1974: 6), إذ ينقل الشاعر لنا صورة للماضي المكبوت, لكي يخفف من ثقل التجارب التي عاشها؛ وذلك بنقلها من داخل نفسه الى خارجها.

وقد رسم شعراء طيء صوراً للمرأة تنبض بالحياة, وقد عبروا عن طريقها عن أشواقهم وعشقهم واحساسهم نحو المرأة, وقد يكون ذكر المرأة دليلا على إحباطات طويلة, تحمل في طياتها أزمة الشاعر من الاحباطات النفسية أو العقدة الجنسية أو الشعور بالنقص والصراع النفسي, وكل ذلك ينهض دليلا على شدة حاجة الشعراء الى المرأة وتأثيرها الطاغي على نفوسهم, ولذلك أفاضوا في الحديث عنها, ووصف محاسنها, وتصوير سحرها, وعدم قدرتهم على تحمل هذا السحر الذي افقدهم حياتهم, وحصرهم في دائرة الخيال والتأمل, فالمرأة باعث من بواعث الجمال, ونلمح ذلك في قول جابر بن ثعلبة الجرمي (السنديوني, 1983: 359) :

وَقُلْتُ لاصْحَابِي هي الشَّمْسُ ضَوْؤُها قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
هَلْ الحُبُّ إلا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفرةٍ وحرٌ على الأحشاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
وفيضُ دموعِ العَيْنِ يا مَيُّ كُلَّمَا بَدَأ عَلَمٌ مِنْ أرضِكُم لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

عبر الشاعر عن المكبوت النفسي عن طريق هذه الأبيات, إذ يحاول أن يصوغ صورا جميلة ويعلن أن محبوبته أجمل النساء, ولذلك شبهها بالشمس, وهذه الصور دليل على الشعور بالحرمان الناشيء عن (عقدة النقص), والذي أدى الى هذا الشعور تعذر الوصول الي الحبيبة, فراح الشاعر يذرف دموعه, ولتعويض هذا النقص حاول أن يرسم صوراً جميلة لمحبوبته في عقله الباطن, ويحملها كل مشاعره, تعبيراً عن معاناته ومرارة حياته, وتعويضاً عن خيبة أمله.

أما جمال المرأة فلها تأثير طاغي على نفوس الشعراء, فهي وسيلة عبروا عن طريقها عن المكبوتات الجنسية في اللاشعورهم, ويتجلى ذلك بوضوح في شعر أبي زبيد الطائي, إذ صور محاسن المرأة, وكشف عن مفاتن جسمها, وأفاض في وصف أعضائها وصفا مكشوفاً, إذاً فالمرأة باعث من بواعث السعادة والنشوة, كما نلمح في قوله (القيسي, 1967: 36) :

نِعْمَتْ بِطانَةُ يَوْمِ الدَّجْنِ تَجْعَلُها دون الثيابِ وقد سَرَّيْتَ أَثْوابا
قِرابَ حِضْنِكَ لا بِكْرٌ ولا نَصَفٌ تُؤْليكَ كَشْحاً لطفاً لَيْسَ مجْشابا
هيفاءَ مُقبِلَةً عجزاء مُدبِرَةً مَحْطوطَة جُدِلَتْ شَنْباءَ أنيَابا
تَرنو بِعَيْنَيْ غَزالٍ تحت سِدْرَتِهِ أحَسَّ يوماً من المَشتَاةِ هَلابا

برزت عند الشاعر (العقدة الجنسية)(5), ولهذا نلاحظ جرأتة في عرض هذه الأوصاف الحسية, ويتخذها تعويضاً لرغبة جنسية مكبوتة, وقد شبه حبيبته بالبطانية في يوم بارد, ووصفها بأنها لطيفة الكشح, والكشحان هما ناحيتا البطن, وقد اتجه الشاعر إلى الوصف الدقيق لاعضاء الحبيبة وعرض لمفاتنها الجسمية؛ لانه يجد فيها اللذة الجنسية وتنفيساً لغرائزه الجنسية المكبوتة التي لم يستطع إشباعها؛ بسبب المجتمع الذي فرض جملة من المعايير الاخلاقية التي لا يمكن تجاوزها, مما أدى الى معاناة مستمرة في لاشعورالشاعر, ولذلك يقول فرويد: **((إنَّ العقدة الجنسية سبب في جميع المشاكل النفسية التي تحتاج الى الإشباع, ووظيفتها الحصول على اللذة من مناطق الجسم))** (فرويد,2000: 35).

وتمثل المرأة بؤرة توصلنا الى نفس الشاعر, وهي باعث من بواعث اللذة والنشوة في حياة الشعراء, كا نلمح في قول الشاعر عامر بن جوين (السنديوني, 1983: 431) :

وجاريَةٍ من بناتِ الملو ..... كِ قعقعتُ بالرمح خلخالها
كَكِرْفِئَةِ الغَيْثِ ذاتِ الصَّبي ..... رِ, تَأْتِي السّحابَ وتَأْتَالَها
تُواعدُهَا بعد مرَّ النجو ..... مِ كلْفَاء تُكْثِرُ تهطالَها

إنَّ الرغبة الجنسية التي اضطر الشاعر الى كتمانها هي التي تسيطر على شعوره, ولها سطوتها, ولذلك فقد اقتصر حديث الشاعرعلى المظهر الخارجي للمرأة, محاولاً عن طريقه أن يفرغ النزعات الجنسية المتراكمة في عقله الباطن, ولذلك اختار الوقت المتأخر والحلم بلقاء هذه الجارية ليلا للخلوة بها, مما يعكس مدى معاناة الشاعر من (العقدة الجنسية).

إنَّ المرأة تمثل الوطن عند الشاعر, إذ إنَّ الحبيبة هي مصدر السعادة في حياته, وهي باعث من بواعث الانتماء الى الديار, كما نلمح في قول الشاعر إياس بن الارث, حيث يقول (السنديوني, 1983: 533) :

أُحِبُّ الأرضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وإن كانَتْ تَوارَثُها الجُدُوبُ
وَمَاْ دَهْرِي بِحُبّ تُرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بها حَبيبُ

تمثل الحبيبة بؤرة توصلنا الى نفس الشاعر, الذي يحاول أن يملأ الفراغ النفسي بوساطتها, و(اسقاط) كل مميزات الوطن على حبيبته سليمى, فهو يحب الأرض التي تسكنها حتى وإن كان فيها الخراب, ولهذا نقول ان الشاعر يعاني فراغاً نفسياً يدفعه الى تعويض هذا الفراغ بشيء خارجي وهو حب سليمى.

أما فراق المرأة فيعدُّ باعثاً من بواعث الحزن والقلق, وقد أطال الشاعر في وصف آلامه, وأظهر حنينه لهذه المرأة, ووجد في ديار الحبيبة الملاذ الآمن للتخفيف عن آلامه, ويحاول أن يواسي نفسه بها, ويجد الطمأنينة المفقودة في ذكرياتها وآثارها, يقول الشاعر جابر بن رأمان السنبسي (السنديوني, 1983: 368) :

وإنِّي كُلَّمَا زاد التِياجي اليكِ وأُضْرِمَ القلبُ الخَفُوقُ
أَمُرُّ على دِياركم وإني بمن أَمْسى بها صَبٌّ مَشوقُ

إنَّ الشعور بالفراغ الروحي بعيداً عن الحبيبة, والشعور بالحرمان والفراق هو الباعث الأساس للحزن وظهور(عقدة النقص) عند الشاعر, وهذا الفراق قد جعله يعيش في أزمة نفسية ممزوجة بالخوف, ويجد في ديار الحبيبة غاية ووسيلة تتخفف من هذا الحزن الذي تغلغل في أعماقه, وقد حاول أن يواسي نفسه بديارها, والتعويض عن هذا الحزن بذكرياتها.

أما المرأة فهي الباعث أساسي للحزن, وكأن هذا الحب والاشتياق يؤدي الى قصور نفسي, مما يدفع الشاعر للتوجه نحو الحلم للهروب من واقعه الأليم, ويتخذ هذه الذكريات وسيلة لتحقيق الرغبة المكبوتة المترسخة في اللاشعور, كما نلمح في قول الشاعر الطرمّاح (حسن, 1994: 94) :

إنما ذكرك ما قد مضى ضله مثل حديث المنام
حب بالزور الذي لا يرى منه إلا لمحة عن لمام
مثل ما عنيت قبل الشفا واضح العصمة أحوي الحذام

إننا نلمح شعور الشاعر بالحرمان؛ لانه وقف عاجزا أمام الوصول الى حبيبته, مما جعله يتجه نحو (الحلم) بوصفه وسيلة للتعبير عن إحساساته العميقة, اذ يستعين بالحلم لكي يجد مجالا للتفريغ عن نفسه, ولكي يعلن ان ذكرى الحبيبة راسخة في نفسه ولم ينسها, ولفخامة موقعها في قلبه, وشوقه للحديث معها اتجه نحو الحلم والتخيل, ولهذا يرى فرويد إنَّ الأحلام وسيلة من وسائل إشباع الرغبات التي قد تكون عَصيَّة التحقيق في الواقع, فالاحلام تعيد ذكريات نسيها الحالم, وليست في متناوله عند يقظة (ينظر: فرويد,2000: 54), من هذه النماذج الشعرية نجد أن المرأة هي الباعث الأساس في نفوس شعراء طيء, وتؤدي الى تحريك وجدانهم, وإيقاظ الذكريات الأليمة أو السعيدة في داخلهم, ويجد الشاعر فيها خير وسيلة لتفريغ المكبوت الجنسي أو التعويض عن الشعور بالنقص, فهي وسيلة للنجاة الشاعر من المكبوتات النفسية, فهي التي تخفف من شدة توتر شعراء طيء, وتزودهم بشيء من الراحة النفسية.

المبحث الثالث:- العذل

إنَّ العذل ظاهرة إنسانية تصدر عن ذات الشاعر, ويعد مخرجاً للتعبير عما يعتلج في قلبه, وهو أداة فنية تكشف عن حس الشاعر الداخلي, وميوله إلى الاعتدال والبعد عن التطرف, وفي الغالب تكون العاذلة زوجة الشاعر, وهي في كل الاحوال تلومه إما على تبديده المال, أو شرب الخمر أو الغزو (السنجلاوي, 1987: 28), ومن أهم الموضوعات التي تتصل بالمجتمع الجاهلي هي العذل على الكرم, وقد قدم الشعراء عن طريق جدلهم مع العاذلة مسوّغات لكرمهم, وهي مسوّغات تتصل بالذات, أو بالأخلاق أو المجتمع, إذ يكشف هذا الجدل عن صراع الواقع والمثل الأعلى, ويحدث بينهما نوعاً من التناقض, نتيجة قصور في إدراك العلاقات العميقة, أو الشعور باستحالة تحقيق هذا المثل الأعلى (الزيد, 2004: 148), فيكون العذل نوع من الحوار, ونعرف الحوار بأنه حديث يدور بين إثنين على الاقل, ويتناول شتى الموضوعات, وربما يقع بين الاديب ونفسه أو من ينزله مقام نفسه (عبدالنور, 1984: 100), ولذلك يقول الدكتور علي أبي زيد: **((أن المرأة التي تعذل الشاعر على الإفراط فيما عليه من قيم وعادات, هي في الحقيقة نفس الشاعر, وتمثل العقل الواعي في قرارة نفسه, وكأن الشاعر يتخذ الزوجة لينقل الحوار الداخلي القائم في نفسه))** (أبو زيد, 2002: 85).

وقد أكد الدكتور نوري حمودي القيسي أَن أكثر الحوار الشعري الذي وظفه الشعراء كان يعتمد على التجريد, ويخلقه الشاعر ليؤكد في نفسه صفة مشهورة, كالشجاعة أو كرمه

للضيف, وإن كل محاولة من محاولات الحوار هذه تظهر صفة من صفاته, وتؤكد رمزاً من الرموز التي قدمها, مستخدما اسلوب التجريد الذاتي (القيسي, 1972: 67), إي يخلق مجالاً لمخاطبة الذات, ولهذا نستطيع القول إنَّ ظاهرة العذل في الشعر العربي ليست وليدة رغبة الشاعر وحرصه على توظيفها في تجربته الشعرية, وإنما ثمة أسباب أسهمت في بنائها, فقد ينبع من حاجات نفسية ومواجهة مشاعر داخلية, كالخوف والقلق, أو إجتماعية لتحقيق الرضا والارتياح, ويبحث الشاعر عن الاسباب لاشباعها, فالشاعر يحاول الهروب من إحساسه الحاد بالواقع النفسي الذي يموج بألوان الصراع مما يدفعه الى سرد تجربة العذل, ورغبة في التخلص من هذا الواقع والتعويض عن ذلك, وقد يشعر بالكبت عن طريق منع النزعات النفسية وهذا المنع يظل قوة متحفزة للظهور(الزيد,2004: 12).

ومن المعروف إنَّ شهرة الكرم والكرماء بين العرب لا تكاد تعدلها شهرة, ومن يتصفح أشعار العرب يجدها زاخرة بالاشارة إليها, ويشعر عن طريق الاطلاع عليهما بمدى ما يكنُّه الانسان في نفسه من تقدير لهما, ومن رغبة شديدة في التحلّي بتلك القيمة الخلقية, وجعل من يتصف بها في الذروة من النبل والشرف (الزيتوني, 2001: 253), وإنَّ الصراع الذي احتدم بين الكريم والعاذلة, كان نتيجة لسعي الأول لاثبات ذاته, وتحقيق وجوده الكامل, وذلك في سياق معركة نفسية مع فكرة الفناء والموت واستحالة الخلود إلا عن طريق الكرم, ولذلك كانت عملية تحقيق الذات دراما أليمة لا تخلو من قلق ومجاهدة ولوم, وانها مهمة شاقة تقوم بين الجانب الباطني من جهة, والجانب الخارجي من جهة اخرى (علي, 2013: 240), وإنَّ الكرم وإنفاق المال من أبرز الفضائل عند شعراء قبيلة طيء, والتفاوت في الاحوال المعيشة جعل طبقات المجتمع تحتاج الى مدِّ يد العون إليهم ومساعدتهم, وهذا السلوك مصدر للفخر والاعتزاز بالذات, إذ إنَّ الكرم عماده الإثارة والتضحية, فهو رأس القيم النبيلة, فالكريم يتحلى بالوفاء والنجدة والمروءة (دقة,1999: 252), ومع علوّ منزلة الكريم فلم يمنع هذا الامر من وجود من يعارض الشاعر في كرمه, ويصل الى حد لومه, ومن أبرز الشعراء الذين واجهوا اللوم على كرمهم هو الشاعر حاتم الطائي, إذ يتخذ العذل مخرجاً للتعبير عما يعتلج في صدره, ولذلك فقد شكل الكرم باعثاً من بواعث الفخر والاعتزار بالذات, إذ يقول (مدرك الطائي, 1990: 217) :

وعاذِلَةٍ هَبَتْ بليْلٍ تَلُومُني ... وَقَدْ غابَ عَيُّوقُ الثُّرَيّا فَعَرّدا

تَلُومُ على إعْطائي المالَ ضَلّةً ... إذا ضَنَّ بالمالِ البَخِيلُ، وَصَرَّدا

تقولُ: ألا أَمْسِكْ عَلَيْكَ, فإنني ... أَرَى المالَ عند المُمْسِكينَ مُعَبَّدا

ذَرِيني ومالِي, إنَّ مالَكِ وافِرٌ ... وكلُّ امرِيءٍ جارٍ على ما تَعَوَّدا

أعاذِلَ لا آلُوكِ إلّا خَلِيقَتِي ... فلا تَجْعَلي فَوقي لِسانَكِ مِبْرَدا

ذَرِيني يَكُن مالي لِعِرْضي جُنَّةً ... يَقِي المالُ عِرْضي قَبْلَ أن يَتَبَدّدا

أَريني جَواداً ماتَ هَزْلاً, لَعَلَّني ... أَرى ما تَرَيْنَ, أو بَخِيلاً مُخَلّدا

والا فكُفّي بَعْضَ لَوْمِكِ وجعَلي ... إلى رَأْيِ مَنْ تَلْحَيْنَ رأْيَكِ مُسْنَدا

إننا نلمح أن الشاعر يتخذ الكرم أداة للتفريغ عن حاجاته النفسية, وتظهر عنده (عقدة النرجسية)(6), فانفاقه للمال في وجه الخير, واستخدامه في سبيل المنفعة الجماعية, محاولة يبديها عقله باطن لإثبات صفة الذات السخية لنفسه, واسناد الكرمى إلى اسمه ولذلك لا يبالي بالعاذلة التي تأتيه في الليل, وتأخذ في لومه على إنفاق المال, ولهذا فإننا نجد في شعر حاتم الطائي نزوعاً نحو تحقيق المثل الأعلى, وهذا ما دفعه الى رفض ما يفرضه عليه المجتمع والاهل من إمساك المال (يوسف, 2001: 148).

أما الرغبة في الخلود والتعويض عن الفناء, فتعد الباعث الأساس لتوظيف العذل في شعر حاتم الطائي, إذ يعتقد الشاعر إنّه لولا الكرم لما بقيت ذكراه في ذاكرة الناس, حيث يحاول أن يواسي نفسه بأنه ينال الخلود بهذا الانفاق, إذ يقول (مدرك الطائي, 1990: 191) :

مَهْلاً نَوارُ أقِلّي اللَّوْمَ والعَذَلا ... ولا تَقُولي لشيءٍ فاتَ: ما فَعَلا

ولا تَقُولي لِمالٍ كُنتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلاً, وإن كنتُ أُعْطِي الجِنَّ والخَبَلا

يَرَى البَخِيلُ سَبيلَ المالِ واحِدَةً ... إنّ الجَوادَ يَرَى في مالِهِ سُبُلا

إنّ البَخِيلَ إذا ما ماتَ يَتْبَعُهُ ... سُوءُ الثّناءِ, ويَحْوِي الوارِثُ الإبِلا

فاصْدُقْ حَدِيثَكَ إنَّ المَرْءَ يَتْبَعُهُ ... ما كانَ يَبني إذا ما نَعْشُهُ حُمِلا

لَيْتَ البَخِيلَ يَراهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كما يَراهُمْ, فلا يُقْرَي إذا نَزَلا

لا تَعْذِليني على مالٍ وَصَلتُ به ... رِحْماً, وخَيْرُ سَبِيلِ المالِ ما وَصَلا

نلمح في هذه الابيات ملامح الاصرار على الاسراف, وكأن الشاعر يعيش هاجس الخلود الذي رسخ في اللاشعور, وإنه مصاب بمرض (العظمة), ولذلك يتخذ الكرم وسيلة للتعويض عن الفناء, ويحرص على أن يخلّد ذكره بعد الموت, فهو يفتخر بإنفاقه المال وكرمه, ويجتهد لكي ينال الحمد, ويكشف أن كرمه طبع أصيل في نفسه وإنه لا يتحول عن طبيعته, ولذلك يبدأ بالقول مهلا نوار, ولعل ذلك يدل على قسوة مطلبها, ولذلك فهو يحاول إقناعها بصحة ما هوعليه, والطلب اليها أن تكفَّ عن لومه مشيراً الى عبثية اللوم؛ لان الكرم شيمته وليس في مقدوره التخلى عنها, ونستطيع القول إنَّ خوف الشاعر من الموت هو مسوّغ مناسب لانفاق المال.

وقد غطى الكرم مساحة واسعة من حياة الشعراء, الذين عمدوا الى أساليب مختلفة لاظهار كرمهم, وذلك عن طريق ذبح الإبل التي هي مصدر معيشتهم في الحياة, ويتخذ الشاعر

الكرم لتحقيق حاجات نفسية تتمثل في (التميز عن الاخرين), كما يظهر في قول الاعرج الطائي, إذ يقول (السنديوني, 1983: 517) :

أَرَى أُمَّ سَهْلٍ ما تَزالُ تَفَجَّعُ تَلُومُ وما أَدْرِي علامَ تَوَجَّعُ
تَلُومُ على أنْ أَمْنَحَ الوَرْدَ لِقْحَةً وما تَسْتَوِي والوَرْدَ ساعة تَفْزَعُ
إذا هِيَ قامَتْ حاسِرا مُشْمَعِلَّةً نَخِيبَ الفُؤَادِ رَأسُهَا ما يُقَنَّعُ
وَقُمْتُ إليْهِ بالّلِجَامِ مُيسّراً وهُنَالِكَ يَجْزِيني بما كُنْتُ أَصْنَعُ

إنَّ الباعث الرئيس في كرم الشاعر يتمثل في تحقيق المجد والسيادة والحمد والثواب, الذي أصاب الشاعر بعقدة (التميز والتفرد), ولذلك يدعي في هذه الابيات أنَّ كرمه مفرط, وهو سعيد في بذل إبله في وجه الخير, ولا يبالي بالعاذلة وإن لامته على كرمه والتفريط في إبله, وقد اتخذ الشاعر الكرم قناعاً ذاتياً لتحقيق رغبات مكبوته في نفسه, وسعى الى تحقيقها بوساطة الكرم.

إنَّ العذل ليس محصوراً على الكرم, بل يواجه الشاعر اللوم والعذل على كثرة الترحال والسفر, ويتخذ الحوار مع العاذلة أشكالا يظهرعن طريقها مشاكل نفسية, ووجود العاذلات يشير الى لوم مضاعف يوجّه الى الشاعر, والعذل باعث من بواعث الافتخار والاصرار عند الشاعر, كما نجد في قول جابر بن ثعلبة الجرمي (السنديوني, 1983: 361) :

وقامَ إليَّ العالاتُ يَلُمْنَني يقلن ألا تَنْفَكُ تَرْحَلُ مرحلا
فإن الفتى ذا العزم رامَ بنفسهِ جواشِنَ هذا الليل كي يتموَّلا
أتيتُ بني عمي ورِهْطي فلم أجدْ عليهم إذا اشتدَّ الزمانُ معوّلا
ومَنْ يَفْتَقِرْ في قومِهِ يحمدْ الغِنَى ماجد العمِّ مُخولا وإن كانَ فيهِمْ
يَمُنُّون إن أعْطَوْا ويبخُلُ بعضُهم ويحسَبُ عجزاً سمته إن تجمَّلا

برزت عند الشاعر(عقدة المازوخية)(7), إذ يتلذذ بتعرض حياته للخطر, ولذلك يخوض صراعاً مستمراً بين عقله الباطن الذي يشكل رغبته في مواجهة الخطر, وعقله الواعي الذي نهاه عن تعريض حياته للخطر, وقد استحضر الشاعر العاذلات اللواتي تلومانه وتعاتبانه على الرحيل وهو لا يستجيب لتحذيراتهنَّ افتخارا بشجاعته في مواجهة الخطر, وقد بين الشاعر عمق المعاناة النفسية, والصراع الداخلي الذي يعيشه الفقراء, إذ يخاطرون بحياتهم من أجل كسب المال, وهذه الحياة القاسية جعلهم يتلذذون بالعذاب والمخاطر, **((إذ تتنازع داخل النفس الانسانية غريزتان أساسيتان تتمثلان في غريزة الحياة, وغريزة الموت, والحوافز التدميرية تعمل سراً داخل الذات, وتنبت كميات كبيرة من الغريزة التدميرية العدوانية داخل الأنا, وهنا تنبثق السادية))** (سقال, 2013: 17).

إنَّ تعرض حياة الشاعر للخطرمن أسباب عذل العاذلة, إذ إنَّ المشاركة في الغزو والطمع في الحصول على رضا الله, لإيجاد الراحة النفسية يعد باعثاً من بواعث الغزو عند الشاعر, كما نلمح في قول جروة بن يزيد الطائي (السنديوني, 1983: 552) :

تلوم حليلتي بالغَزْوِ جَهْلاً وَغَيْرُ الغَزْوِ أَوْلَى بالمَلَامِ
وَلَوْ لَا الغزو كنت كَمَنْ يُغادِي بأنواعِ الشَّبارِقِ و المُدامِ
قَلِيْلَ الهَمِّ يَزْهَدُ في المعالي ويرضى بالقليل من الطَّعامِ
فَهَمِّي غَيرُ هَمِّكِ فاتركيني و غزوي, إنه همُّ الكرامِ

إن طمع الشاعر في الحصول على الثواب دفعه للمشاركة في الغزو, إذ يمثل الغزو (التجربة الجماعية) المشتركة بين الأبطال, لذلك يحاول التصدي الى الخوف من الموت, ويظهر عدم مبالاته بما يلاقيه من العذل في سبيل الله, و يعلن ان زوجته تلومه جهلاً.

وأما شرب الخمر فهو من الأسباب الاخرى لعذل الشاعر, فهو يلجأ الى الخمر للتخفيف من حدة الواقع المؤلم, واتخذ شرب الخمر وسيلة لاخراجه من الاحزان التي تتغلغل في أعماقه الداخلية, ومع ذلك فإنَّ شرب الخمر يعرضه للوم, كما نجد في قول الشاعر إياس بن الارث, إذ يقول (السنديوني, 1983: 533) :

أعَاذِلَ لوشَرِبْتِ الخَمْرَ حتى يكُونَ لكل أنمُلَةٍ دَبيبُ
إذا لعذَرْتِني وَ علِمْتِ أني بما أَتْلَفْتُ من مَالي مُصِيبُ

نرى بوضوح المعاناة النفسية التي يعيشها الشاعر, ولذلك اتخذ شرب الخمر وسيلة لتفريغ مكبوته النفسي الذي ينبع من الخوف من الموت, فشرب الخمر ينبعث من ايمان الشاعر بحتمية الموت, مما يدفعه إلى الاستمتاع بالحياة, ولذلك تظهر نزعة الادمان على الخمر وعدم العناية بعذل العاذلة, وكأن شرب الخمر يحقق له السعادة والمتعة, وينزع من شعوره شبح الموت.

وأما ظهور الشيب وما الحقه بالشاعر من ضعف ووهن, فيعدُّ عاملاً رئيساً في تعرضه للعذل والعتاب, إذ تتخذ الزوجة الشيب وسيلة للضغط على نفسية الشاعر, لذلك فالشيب يمثل باعثاً من بواعث الحزن والضعف عنده, كما نلمح في قول جروة بن يزيد الطائئ يقول (السنديوني, 1983: 550) :

وَقالتْ قد كَبِرْتَ, وقُلْتُ حَقاً كَبِرْتُ, فَكَفْكِفِي وَدَعِي عِتَابِي
عِتَابُكِ كلَّ يومٍ لي عَذَابٌ وَمِثْلِي لا يَقَرُّ على العَذابِ
فإنْ لَمْ تَصْبِري وَ كَرِهْتِ قُرْبِي فَدُونَكِ ما أردْتِ مِنْ اجْتِنَابِي
سأغزُو الترك في نَفَرٍ كِرام سِراعٍ حينَ تُدْعي لِلضِّرابِ

وفي الأيامِ لي عِظَةٌ وَنَاهٍ وما أرْضَى مُعَاتَبَة الكِعَابِ

نرى إنَّ عتاب الزوجة قد أثر على نفسية الشاعر وأنتج لديه شعوراً بالنقص مما أصابه بـ(عقدة النقص), فالشيب يشكل الحاضر المقيت, ويمثل عجز الشاعر في وقوف بوجه الدهر كي لا يسلب منه الشباب والقوة, أما عتاب الزوجة يشكل العذاب النفسي الذي يهز كيان الشاعر مما يخلق فراغاً روحياً, ويدفعه الى استعراض بطولاته وقدراته الحربية في أيام شبابه, وذلك تعويضاً عن هذا النقص الذي يشعر به في قرارة نفسه, وانه يحاول في عقله الباطن ان يصور ذاته بانها قوية وشجاعة, وهكذا نرى أنَّ شعراء طيء وجدوا في حواراتهم منافذ للتعبيرعما يحسونه, فهي وسيلة فنية للتعبيرعن تجربتهم الوجدانية, وتشكل المرأة العاذلة تشكل قناعاً ذاتياً أبدعه شعور الشاعر, ويحتمل أن يكون الصوت الداخلي صادرا عن ذات الشاعر في سياق اللوم, والذي يمثل معاناة وطموح نفسي, أو رغبات مكبوتة يحاول إظهارها بشكل غير مباشر.

النتائج

وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:-

1-قد صنع الشاعر الطائي من البواعث الخارجية الدافع المؤثر لقريحته الشعرية, فكان من عوامل تعمق شعريتهم, وذلك لقدرته على إحداث التأثيرا ت النفسية.

2-عكست الأطلال استجابة نفسية لصورة الفراق, حيث شكلت حضوراً مأساوياً في أشعار الطائيين, فإن وقوفهم على الأطلال البالية يعمق في نفوسم مرارة الموت, ويذكرهم بقدرة الزمن على التحطيم, وسلب الذكريات الأحبة ولاسبيل في مواجهتها.

3-أما للمرأة تأثير كبير علي الشاعر الطائي, حيث يستمد منها إلهامه, يحاول عن طريقها التنفيس عما احتبس في داخله, إذ وجد فيها المنقذ من هذا العذاب النفسي.

4-إن الموت شغل فكر الشاعر الطائي, إذ يمثل الواقع المأساوي في حياة الشاعر, لذلك يستعين الشاعر بالعاذلة ليقضي به على هذه الحتمية, فالعاذلة تعبير مقنع يقدمها الشاعر مصوراً معاناته النفسية, لافصاح عن تجاربه الوجدانية لتحقيق المجد والخلود.

الهوامش

1-الاكتئاب:- هو اضطراب نفسي يسبب شعوراً بالحزن المفرط, وإن الاكتئاب قائم على تأنيب الذات (وهبي,1997: 14).

2-العقدة النقص:- يعرفها العالم النفساني(أدلر)على انه شعور بعدم الكفاءة, ناجم عن نقص جسدي أو نفسي, وسبب لجميع الأمراض العقلية, وللتخلص من هذا الشعور يتم بادعاء الرفعة والتظاهر بالعظمة ما يدعي بآليات التعويض (ينظر: عبدالقادر,1949: 25).

3- اللاشعور الجمعي (التجربة الجماعية):- مفهوم وضعه العالم النفساني (يونغ), الذي أسس مفاهيمه عن اللاشعور الجماعي, إذ يرى أن الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على التجربة الفردية, وإنما تمتد لتستوعب التجربة الانسانية, فيمثل خبرات وتجارب الأسلاف المتراكمة في اللاشعور الجمعي (فضل,2002: 75).

4-اسقاط:- هو عملية النفسية يحول بها الفنان تلك المشاهد التي تطلع عليه من أعماقه اللاشعورية, فيحولها إلى موضوعات خارجية يمكن تأملها (سويف,1951: 187).

5-العقدة الجنسية:- مفهوم قدمه عالم النفساني (فرويد), وقد فسر السلوك الانساني تفسيراً جنسياً, حيث تجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء,إذ يرى أن الطاقة التي توجه سلوك الإنسان هي الغرائز الجنسية, وأن الفن بمثابة تنفيذ لرغبات جنسية مكبوتة (فرويد, 2000: 35).

6-العقدة النرجسية:- وهي مصطلح نفسي مرادف لمفهوم تقدير الذات, وهي مرحلة تتسم بالاهتمام المفرط بالنفس, والرغبة المستمرة في البحث عن القوة من أجل اشباع الرغبات النفسية (البحري,1987: 18-37).

7-العقدة المازوخية:- انها حالة من اضطراب النفسي, تتجسد في التلذذ بالألم وتعذيب النفس (فرويد,2000: 45).

المصادر والمراجع

1-ابن قتيبة: 1958, الشعر والشعراء, تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر, دار المعارف- القاهرة.

2-البحري: الدكتور عبدالرقيب أحمد, 1987, الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي, دار المعارف-القاهرة.

3-الجبور: توفيق ابراهيم, 2014, دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة, دار ومكتبة الحامد للنشر- عمان.

4-الجبوري: الدكتور يحيى, 1986, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, مؤسسة الرسالة-بيروت.

5-حسن: الدكتوره عزة, 1968, شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث, دمشق.

6-حسن: الدكتورة عزة, 1994, ديوان الطرمّاح, دار الشرق العربي- بيروت.

7-الحوفي: أحمد محمد, 1950, الغزل في العصر الجاهلي, مكتبة نهضة- مصر.

8-خليف: الدكتور يوسف, 1981, دراسات في الشعر الجاهلي, دار غريب للطباعة و النشر- القاهرة.

9-دقة: الدكتور محمد علي, 1990,ديوان بني اسد اشعار الجاهليين والمخضرمين, دارصادر-بيروت.

10-الزيتوني: الدكتور عبدالغني أحمد, 2001, الانسان في الشعر الجاهلي, مركز زايد للتراث والتاريخ-الامارات.

11-سقال: الدكتورة ديزيره,2013, الابداع الادبي والتحليل النفسي, دار كتابات-بيروت- لبنان.

12-السنديوني: وفاء فهمي, 1983, شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام, دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض.

13-سويف: الدكتور مصطفى, 1951, الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة, دار المعارف-مصر.

14-شلبي: الدكتور سعد اسماعيل, 1982, الاصول الفنية للشعر الجاهلي, مكتبة غريب, الطبعة الثانية, د.م .

15-عبد الرحمن: الدكتور عفيف, 1984, الشعر أيام العرب في العصر الجاهلي, دار الاندلس-بيروت.

16-عبدالدايم: الدكتوريحيى إبراهيم, 1974, الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث, دارإحياء التراث العربي, بيروت- لبنان.

17-عبدالقادر: حامد, 1949, دراسات في علم النفس, المطبعة النموذجية- القاهرة.

18-عبدالنور: جبور, 1984, المعجم الادبي, دار العلوم للملايين- بيروت.

19-عطوان: الدكتور حسين, 1970, مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي, دار المعارف- مصر.

20-فرويد: سيجموند, 2000, الموجز في التحليل النفسي, ترجمة: سامي محمود علي, مكتبة الاسرة, د. م.

21-فضل: صلاح, 2002, مناهج النقد المعاصر, مكتبة الروضة الحيدرية- القاهرة.
22-فيدوح: الدكتور عبدالقادر, 1989, الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي, القاهرة
23-فيصل: الدكتور شكري, 1959, تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام, دار العلوم للملايين- بيروت.
24-القيسي: الدكتور نوري حمودي, 1972, دراسات في الشعر الجاهلي, بغداد.
25-القيسي: نوري حمودي, 1967, شعر أبو زبيد الطائي, مطبعة المعارف- بغداد.
26-مدرك الطائي: يحيي, 1990, ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره, دراسة وتحقيق: الدكتور عادل سليمان جمال, المكتبة الخانجي- القاهرة.
27-الهاشمي: الدكتور علي, 1960, المرأة في الشعر الجاهلي, مطبعة المعارف- بغداد.
وهبي: الدكتور كمال, 1997, مقدمة في التحليل النفسي, دار الفكر العربي- بيروت.
28-يوسف: حسني عبدالجليل, 2001, الادب الجاهلي قضايا و فنون و نصوص, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة.
29-اليوسف: يوسف, 1983, مقالات في الشعر الجاهلي, دار الحقائق- الجزائر.

الرسائل

30-الخفاجي: ليلى نعيم عطيه, 2002, البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ما قبل الاسلام, إشراف: محمود عبدالله الجادر, الى مجلس كلية الاداب, قسم اللغة العربية و آدابها, جامعة بغداد.
31-علي: رياح, 2013, البحث عن الذات في الشعر الجاهلي, إشراف: الاستا الدكتور عدنان أحمد, جامعة تشرين, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, قسم اللغة العربية, الجمهورية العربية السورية.

الاطاريح

32-الزيد: اسماء بنت عبدالله بن محمد, 2004, عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الاموي, إشراف: الدكتور عبدالله بن محمد العضيبي, جامعة أم القرى, كلية اللغة العربية, المملكة العربية السعودية.

الدوريات

33- أبو زيد: الدكتور علي, 2002, ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي, مجلة جامعة دمشق, المجلد 18.
34-حسون: سعيد, 2008, الدكتور عناد غزوان ورؤيته النقدية في الشعر الجاهلي, جامعة بغداد / كلية اللغات, المجلد 4.
35-السنجلاوي: ابراهيم موسى, 1987, العاذلة في الشعر الجاهلي, المجلة العربية للعلوم الانسانية, الكويت, المجلد 7.